المحاضرة 8

المِرحضة

أهلا بكم. في هذه المحاضرة، سنركّز على القطعة الثانية من الأثاث الموجودة في ساحة خيمة الاجتماع. أشجّعك أن تأخذ وقتًا لتقرأ الخروج 30: 17 إلى 21؛ و38: 8 و40: 7. ليباركنا الله بروحه لنفهم ونقبل حقيقة الإنجيل كما هي مُقدّمة في المرحضة.

قبل أن نتأمّل في تفاصيل هذه المرحضة، لِنُعِد إلى أذهاننا الصورة الرئيسيّة لكلّ بُنية خيمة الاجتماع وطقوسها. يعرض اللهُ أمامنا فيها موضوعَيْن متميّزَيْن لكنّهما مرتبطَيْن ببعضهما. أوّلًا، الدار. هو يُصوّر لنا طريق الخطاة الوحيد للاقتراب إلى الله. البوّابة الموجودة في السور والمذبح النحاسيّ والمرحضة تُشكّل الأساس لهذا الاقتراب إلى الله. لا يستطيع أحد أنْ يتجاوزها. إن كان لدينا رغبة للشركة مع الله، فينبغي علينا الوقوف بها جميعًا.

ثانيًا، بناءُ الخيمة، مع القُدس وقدسِ الأقداس، يُصوِّران شركةَ المؤمن مع الله. هذه الشركةُ تُعرَض في تفاصيلِ القُدس، ولا سيّما قدسِ الأقداس.

بالتأمّل في هاتين الحقيقتين الرئيسيتين، لا تنسوا يا أصدقائي، أنّ هذه الصور الموضوعية هي أيضًا

شخصيّة، وكذلك روحيّة ويجب اختبارها. عندما يعمل الروح القدس عملَ الخلاص في قلوبنا، سنختبر كلَّ هذه الحقائق المختلفة المعروضة في الخيمة، لكنّها ليست دائمًا مُرتّبة بوضوح. مثلًا، ستكون قد اختبرت رغبةً نامية في أن تقترب إلى الله، لكنّك تعلم أنّه يوجد عائق لذلك. ما هو؟ إنّه السور. تعلم أنّك كسرتَ شريعةَ الله، وذلك يعيق المصالحة. إنّه السور. قداسةُ الله وعدلُه حاجز يمنعك من الاقتراب إليه. لكنّ روحَ الله يكشف لك عن وجود باب: يوجد طريق. طريق مفتوح لنا لنأتي إلى الله في الربّ يسوع المسيح. وما أجملَ المخلّص الذي يدعونا أن نأتي إليه، مؤكّدًا لنا: "لن أطرحك خارجًا." والباب واسع، مفتوح لكلّ الخطأة على اختلاف أحجامهم. لكن في تلك اللحظات المملوءة بالرجاء، حين ترى ذلك الباب، ستواجه مع ذلك حقيقة خطاياك وذنبك. ماذا عن ذلك؟ لا يمكننا ببساطة أنْ نتجاهلَها ونتوقّع الأفضل. الله إله بارّ. هو يطالب بأن يُحترمَ الناموس، كما ستطالب بذلك أيضًا لو أخطأ أحدهم إليك. والناموس المكسور يطالب بعقوبة عادلة ومنصفة.

وأمام هذه الحقيقة، كان بنو إسرائيل يُقادون إلى المذبح النحاسي. ذلك المذبح، الذي رأيناه من قبل، هو يسوع المسيح نفسُه مصوَّرًا على الصليب. ألم يجعله ثمينًا، كالكاهن، قادرًا أن يخلّص إلى التمام؟ أليس روح الله من مكّنك أن تضع ثقتك فيه وحده؟ هل ذُقت بالإيمان السلام والغفران من خلال حياة وسيط بلا عيب، وموته الذبائحي الكفّاري؟ لا تنتهي رحلتنا الروحيّة هناك. بل هناك يبدأ صراعنا الروحيّ لنكونَ قدّيسين حقًّا. فلنسأل: هل أنت الآن طاهر؟ هل أنت قدّوس؟ هل أنت بلا خطيئة؟ هل أنت دائمًا، وفي كلّ الأمور، مثل يسوع المسيح؟ أم ستقول: "آه، ليتني أختبر قوّته في القداسة."

أصدقائي، فلنتبع شِمَع بأذهاننا بينما تقع عيناه على القطعة التالية في خيمة الاجتماع. رأى شمع شيئًا خلف ذلك المذبح الكبير أمامه مباشرة. بدا أنّه قطعة مُصمّمة بشكل جميل. كانت تتلألأ تحت أشعّة الشمس. تبدو كأنّها مِرحضةً ضخمة للغُسل. تبعت عيناه أحدَ الكهنة بيدَيه الملطّختَيْن بالدماء، وقدمَيْه المغبرّتَين، وهو يمشي نحوها. بعنايةٍ ودقّة، اغتسل، بعدما كان مشغولًا بالذبح وتقديم الذبائح عند المذبح.

عند ذلك، وقعت عيناه على كاهنٍ آخر دخل مباشرةً من خلال الباب، ورأى شمع أنّه توجّه مباشرة إلى المرحضة، حتى قبل أن يقوم بأيّ عمل آخر في دار خيمة الاجتماع. وفقط بعد الاغتسال، انضمّ إلى آخرين للقيام بأعماله الكهنوتيّة. وبينما كان يراقب، رأى كاهنًا أكبر سنًّا يدخل. كان يرافقه عدد من الشبّان. وبكلّ وقار، ساروا نحو المرحضة خلف المذبح، ولاحظ أنّهم لم يغسلوا أيديهم وأقدامهم فقط، بل لاحظ أنّهم غسلوا أجسادهم كلّها بماء المرحضة. ماذا حدث لهم؟ ولماذا كان عليهم أن يغسلوا أجسادهم بالكامل؟

في تلك الأثناء، دخل عدد من اللاويّين من الباب يحملون معًا وعاءً كبيرًا بالماء، ليملأوا المرحضة. لاحظ شمع ذلك وقال: "لا بدّ أنّهم يقومون بذلك عدّة مرّات في اليوم، إذ يبدو أنّ هذه المرحضة تُستخدم بكثرة. يجب أن أتحقق من هذا عن قرب قليلًا." حاول الاقتراب أكثر منها، لكن كاهنًا سدّ طريقه فجأة. قال له: "يا فتى، لا يُسمح لك بالتقدّم أكثر في الساحة. هذا مسموح فقط للكهنة واللاويّين." أطاع شمع وتراجع، وفي تلك الأثناء، سأل الكاهن إنْ كان بإمكانه أن يشرحَ له تفاصيل مرحضة الاغتسال.

شرح له الكاهن ذلك بكلّ سرور. وتعلّم شمع أنّ هذا الوعاء يُسمّى "المرحضة." ربّما لم يكن ارتفاعه أكثر من متر ونصف، لأنّه كانوا ينتقلون به عند الترحال. لا يذكر الكتاب المقدّس شكله وأبعاده الدقيقة، فلا نعرف تمامًا كيف كان يبدو. كان على الأرجح مثل وعاء كبير الحجم قائمٌ على قاعدة، يغمِسُ فيه الكهنة أيديهم ويغسلون أقدامهم وأيديهم، وإذا لزم، أجسادهم. وبحسب خروج 38: 8، صُنعت المرحضة بما نسمّيه اليوم بالمرايا. في الأزمنة القديمة، لم يكن الزجاج قد اكتُشف بعد. كان الناس يستخدمون النحاس المصقول كمرآة. ما أروع أنّ ما نستخدمه أحيانًا للتباهي، يحوّله الله إلى هدف مُقدّس.

لاحظ شمع أثناء مراقبته أنّ المرحضة وُضعت خلف المذبح، لكن قبل الدخول فعليًّا إلى الخيمة. كانت تمامًا بين الحجاب والمذبح. أليس من المنطقي أكثر أن توضع المرحضة أوّلًا؟ ألا نغتسل بالعادة قبل أن نقترب من شخصٍ مُهمّ؟ ألن نتأكد أنّنا نبدو طاهرين ومرتّبين قبل أن نذهب ونتحدّث إليه؟ ومع ذلك، أمر الله موسى

أنْ يضعَ المرحضة ثانيًا، لا أوّلًا. كانت الرسالة واضحة.

يجب أن نعترف بخطايانا ليُكفّر عنها قبل أنْ نُقدَّس. بكلام لاهوتيّ دقيق: التبرير يسبق التقديس، مع أنّهما مرتبطان ارتباطًا وثيقًا، كنعمتَيْن توأم. فعلى الرغم من أنّ الاعتراف والكفّارة ضروريّتان في اقترابنا من الله، القداسة أيضًا كذلك. تؤكد رسالة العبرانيين 12: 14 هذا بوضوح بهذه الكلمات: "اِتْبَعُوا ٱلسَّلَامَ مَعَ ٱلْجَمِيعِ، وَٱلْقَدَاسَةَ ٱلَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ ٱلرَّبَّ." وهذا يشبه تعليم يهوه لموسى في خروج 30: 19–21، حيث نقرأ: "يَغْسِلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْهَا. عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ ٱلِٱجْتِمَاعِ يَغْسِلُونَ بِمَاءٍ لِئَلَّا يَمُوتُوا، أَوْ عِنْدَ ٱقْتِرَابِهِمْ إِلَى ٱلْمَذْبَحِ لِلْخِدْمَةِ لِيُوقِدُوا وَقُودًا لِلرَّبِّ. يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ لِئَلَّا يَمُوتُوا. وَيَكُونُ لَهُمْ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً لَهُ وَلِنَسْلِهِ فِي أَجْيَالِهِمْ."

ما هي رسالة الله لنا الآن في هذه المرحضة؟ أوّلًا، هي تمثّل بصريًّا جزءًا غنيًّا من الإنجيل. عادةً نحدُّ الإنجيل بالربّ يسوع المسيح في حياته وموته وقيامته. لكن، يا أصدقائي، يشمل الإنجيل أيضًا خدمة الروح القدس لتقديسنا نحن الخطاة. وهل يوجد أصعب علينا نحن الخطاة من أنْ نصبحَ قدّيسين مثل يسوع؟ لا، ليس بالمظهر، ولا بالتصرّف، بل أن نكون قدّيسين بالفعل. وحيث نفشل، هناك ينجح الروح القدس. إنّه عمله لتقديس الخطاة، إذ يحوّل الخطاة إلى قدّيسين، أو المتمردين إلى مواطنين صالحين في ملكوت الله. ويبدأ هذا العمل بمعجزة عظيمة اسمها "التجديد." تكلّم يسوع عن ذلك في يوحنا 3 ووصفها بالولادة الجديدة. إنّها ضروريّة إذا أردنا أن نرى، أو أن نتمتّع، بملكوت الله. وبيّن يسوع أنّها عمل الروح القدس. يقول في يوحنا 3: 8: "اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ ٱلرُّوحِ." وفي تيطس 3: 5 نجد الإشارة إلى الروح القدس في الخلاص: "لَا بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ – خَلَّصَنَا بِغُسْلِ ٱلْمِيلَادِ ٱلثَّانِي وَتَجْدِيدِ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ."

المرحضة ترمز إلى ذلك. فهي ترمز إلى التطهير وغسل دنس خطايانا. وهذا أيضًا عملُ الله في الخلاص.

عند المذبح النحاسيّ، تُرفع الذنوب بالموت عن البديل. وفي المرحضة، يُزال دنس الخطية بواسطة خدمة الروح المبارك للمسيح. ولتوضيح ذلك بصورة أخرى، قدّم يسوع، في عمله الكفّاري على الصليب، أساس الاتّحاد السماويّ. ويوفّر الروح، في عمله لتجديد القلوب، الاستعداد لهذا الاتّحاد السماويّ. بصورة أخرى، برُّ المسيح هو لباس عُرسِ العروس، أمّا خدمة الروح فتهيئُ قلبَ الخطاة ليكونوا عروس المسيح. لهذا، من المهمّ أن نلاحظَ أنّ المذبحَ النحاسيّ موجود أمام المرحضة. هذا ليس ترتيبًا عشوائيًّا، بل ضرورة لاهوتيّة.

بفضل استحقاقات المسيح، يُسكب الروح القدس. يمكننا استخلاص هذا من نصوصٍ مختلفة. مثلًا، يوحنا 7: 37–39، حيث دعا يسوع الخطاة العطشى أن يأتوا إليه، وإن آمنوا به، فسينالون الروح القدس. ونقرأ في أعمال الرسل 2: 38 الشيء نفسه بالضبط، حيث يعظ بطرس قائلًا: "تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى ٱسْمِ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ ٱلْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ." الروح يوعد لمن يؤمن بعمل يسوع المسيح الكامل. بعبارة أخرى، أوّلًا الخدمة عند المذبح، ثمّ الخدمة عند المرحضة.

هذا يقودنا إلى التعليم الرئيس الثاني حول المرحضة. فالله يُعظّم قداسةَ شريعته في المرحضة. في كلّ مكان يعلّي الله القداسة كصفة فوق كلّ الصفات. وغالبًا ما يتحدّث الكتاب المقدّس عن عبادته في جمال القداسة. وكلّ شيء في الخيمة، كما ذكرتُ سابقًا، يؤكّدُ على قداسة يهوه. لهذا، كان على كلِّ كاهن أن يغتسل بالكامل أوّلًا عند دخوله الهيكل لأداء عمله المقدّس. لم يكن ذلك ضروريًّا فقط عند التعيين الأوّل للكهنوت، كما لاحظ شِمَع يحدث، عندما دخل بعض الكهنة الشبّان مع الكاهن الأكبر سنًّا. لا، بل كان عليهم كلَّ يوم عند بدء عملهم الكهنوتي، وأيضًا طوال النهار، أن يغسلوا أيديهم وأقدامهم باستمرار وبانتظام في المرحضة. لماذا؟ لأنّ الشَركة مع الله بدون قداسة غير ممكنة. لا تفتكروا أنّ هذا يقتصر على لاهوت العهد القديم فقط. فعبرانيّين 10: 22 توضّح لنا ما ينطبق علينا اليوم مصوّرًا برمزيّة الخيمة: "لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ ٱلْإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ."

البُعد الثالث للمرحضة يتعلّق بالمرحضة والماء. كلاهما يمثّلان صورةً رمزيّةً لكلمةِ الله المقدّسة. كانت المرحضة كمرآة. كان بإمكان الكهنة رؤيةَ أنفسِهم فيها. وبينما كانوا واقفين هناك، كانت تكشف البقع واللطخات على وجوههم، التي كان يجب غسلها. وهكذا، عندما أستخدمُ كلمة الله يوميًّا، فهي تعمل كمرآة، وتكشف لي أماكن الحاجة إلى التطهير. نقرأ في عبرانيين 4: 12: "لِأَنَّ كَلِمَةَ ٱللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ ٱلنَّفْسِ وَٱلرُّوحِ وَٱلْمَفَاصِلِ وَٱلْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ ٱلْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ." إنها تفحصنا. بعبارة أخرى، كلمةُ الله قادرة على الحكم أو كشف الأفكار الخفيّة ونوايا القلب. هل ترى مدى أهميّة دور كلمة الله في حياة التقديس؟

لكن كلمة الله ليست فقط كاشفة لخطايانا، كما تكشف المرآة عيوبَنا الجسديّة وقذارتنا، بل هي أيضًا الوسيلة لتطهيرنا من دنس خطايانا، كما يفعل الماء بأجسادنا. تُظهر لنا عدّة نصوص من العهد الجديد أنّنا نغتسل بماء الكلمة. مثلًا، يوحنا 15: 3 حيث يقول يسوع: "أَنْتُمُ ٱلْآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ." وفي يوحنا 17: 17، يصلّي يسوع: "قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ." وفي أفسس 5: 26، نقرأ: "لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ ٱلْمَاءِ بِٱلْكَلِمَةِ."

الاستخدامُ المستمرُّ للمرحضة يوضّح لنا الاستخدام المستمرّ الذي يجب أن يقومَ به كلُّ مؤمن بكلمة الله. فالكلمة تقدّس. وهذه الحقيقة المقدّسة مبيّنة بجمال في 2 كورنثوس. لاحظ مرّة أخرى الإشارة إلى المرايا: "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ ٱلرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ ٱلصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ ٱلرَّبِّ ٱلرُّوحِ."

في الختام، أدعوك للتأمّلِ في ذلك المشهد الذي لا يُنسى في يوحنا 13: 8. كان يسوع أمام بطرس الذي اعترض على غسلِ قدمَيْه. فأجاب يسوع بصبر: "إِنْ كُنْتُ لَا أَغْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ." لم يقصد الربُّ أنّ عدم غسله لقدمي بطرس يعني أنّ بطرس لا يمكن أن تكون له علاقة معه أو لم تكن له علاقة معه. لا،

بطرس كان مؤمنًا مُباركًا من الله الآب، وكانت تلك العلاقة دائمة. فما الذي قاله يسوع؟ "إن لم أغسل قدمَيْك يا بطرس، فلا يمكن أن يكون لنا شَرِكة في القربان على هذا المائدة." فالخطية تعيق الشَركة يا أصدقائي. لذلك، يجب أن تُطهّر يوميًّا. ثمّ تحوّل بطرس بالكامل وقال: "يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا يَدَيَّ وَرَأْسِي." واستجابةُ يسوع لها دلالة كبيرة، وتذكّرنا بالمرحضة وبالمذبح النحاسي. انظر إلى الآية 10: "ٱلَّذِي قَدِ ٱغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ."

في اليونانية، هناك كلمتان مختلفتان استخدمتا لكلمة: "غسل". الأولى "غسل" هي كلمة يونانيّة تعني "دفن الجسم بالكامل." هذا يشير إلى تبرير الله الفعّال بالإيمان. يُغسل كلُّ ذنب الخطيئة بالكامل في ذبيحة الحمل. وما حدث هنا كان مصوَّرًا عند المذبح النحاسيّ. أمّا الكلمة الثانية للغسل في تلك الآية، ففي اليونانية لها معنى "الشطف أو التنقية السطحيّة." بينما نسير في حياتنا، سيتلطّخ المؤمن الذي نال الغفران والتبرير يوميًّا بخطايا جديدة بأفكاره وأقواله. وحتّى لو بذلنا أفضل جهد، سنستمرّ في العيش مع عالم الخطيّة المتأصّل فينا، مُحاطين بالتجارب ونسقط فيها كلّ يوم. لذلك، علينا أن نأتي يوميًّا إلى الربّ يسوع، إلى المرحضة الروحيّة، لنغتسل مرّة أخرى، ويجب الاعتراف بهذه الخطايا اليوميّة أمام الله. يجب أن تُغسل في المسيح، للحفاظ على هذه الشركة مع الله. فهل كان يوحنّا أيضًا يفكّر في هذا عندما كتب في رسالته: "وَدَمُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱبْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ. إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ ٱلْحَقُّ فِينَا. إِنِ ٱعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا –المذبح النحاسيّ– وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ." – المرحضة.

ليبارك الله هذه التعاليم، وليعمّق فهمَنا للإنجيل، وليُعمّق فرحتنا في الشَركة مع الله، كلُّ ذلك بفضل يسوع المسيح وروحه القدّوس. شكرًا لكم.